هذا الصبى

ودع الزوجان عيادة الطبيب ·· الزوجة تحمل وليدهـا تحاول جاهـدة أن تهدئ من صراخه ·· عرج الزوج على أول صيدلية ·· انتظرته الزوجة بينما استمرت تهدهد الصغير ··· لم يتأخر الزوج ·· عاد حاملا « لفة » الدواء فى يده ·· تعلوه بشاشة كأنما ابتاع حياة ابنه ·· بادلته الزوجة ابتسـامة ·· التفتت الى طفلها متفائلة ·· ظلت تتأمل وجهه كأنما تبثه نبأ شفائه ·· مشيا فى الطريق الى محطة القطار ·· يستعيدان كلام الطبيب ويثنيان على انسانيته ومهارته ·· نظر الزوج الى سـاعة يده فتأوه قائلا :

ـ سيفوتنا القطار ·· هيا أسرعى ·

جعلت الزوجة تهرول ويداها تحوطان الوليد فى حـرص شديد ·· والزوج ما زال يحثها ·· لكنها توقفت ·· وما زال الصغير يعلو ويهبط تبعا لأنفاسها :

ـ لقد تعبت ·

ـ القطار فى المحطة ·· ولم يبق غير بضع خطوات ··· واحذرى أن يسقط الطفل ·

خفت صوت الزوج حين انبعث صفير القطار ·· كما هدأت خطواته ثم وقف ينظر الى الركاب من النوافذ المتسابقة ·· ابتلع غصته ·· واستمر يحملق فى القطار حتى نأى ·· وما لبث أن اختفى بين موجات الظلام ·· استدار ناحية زوجته التى طأطأت رأسها ·· كاد أن يؤنبها لولا حركة الصغير ·· وفضل أن يحدث نفسه :

ـ لو كنت وحدى لما فاتنى القطار ·

ثم وجه حديثه لزوجته وقد عقد ما بين حاجبيه :

ـ علينا بالانتظار ·· ساعة كاملة ·

شهقت الزوجة فى جزع :

ـ ساعة ؟ ·· ساعة فى هذا البرد الشديد ·· والولد محموم ·· كما يجب أن نسقيه الدواء والا قضت عليه الحمى ·

صمت الزوج يسترجع كلام زوجته ·· توقف عند جملتها الأخيرة ·· ثم هز رأسه حائرا ·· وهتفت فى حيرة وقلق :

ـ وماذا أصنع ؟! ··

ثم أضاف : ـ نستأجر تاكسى ··

ـ تاكسى !! ·· أجر طبيب ·· وثمن دواء ·· وتاكسى ؟ ··

ـ لا بديل عن ذلك ·

دار الحوار بين الزوجين على رصيف المحطة ·· بينما ساقتهما قدماهما شطر الميدان المجاور ·· وقفت الأسرة الصغيرة ·· الزوجة تربت على طفلها الذى بدأ يتذمر ·· لعله يشاركهما

أسفها على فوات القطـار ·· الزوج زائغ النظـرات بين عـربات الأجـرة ·· على الطوار المقـابل كانت هنـاك عينان تتنقلان بين الزوج تارة ·· والزوجة تارة أخرى ·· وفجأة لمعت العينان بالفرحة ·· قفز الصبى صاحب العينين ·· تثنى وتلوى مخترقا طريقه بين العربات المزمجرة المسرعة ·· وقف أمام الزوج الحائر يلهث ·· تزين وجهه بسمة تفاؤل ·· تعجب الرجل حين رأى الصبى يبتسـم له كأنه يعرفه ·· فتش فى ذاكرته لعله يدرك سبب هـذه الابتسامة ·· طاش صواب الأب حين سمع بكاء ابنه ·· **قطع الصبى انفعالاته قائلا فى ثقة :**

ـ استرح أنت يا سعادة البك ·· سأقوم آنا بهذه المهمة ·· باذن الله سـوف أسعفكم بعربة ·· نظر الرجل الى الصبى مقارنا بين حجمه وكلامه ·· هم بأن ينهره ويعفيه من عرضه فانه فى موقف لا يحتمل هزل الصبية ·· لكنه لمح بريقا يشع من عينى الصبى ·· لم يملك الا أن يهز رأسه موافقا ·· عندئذ **قال الصبى فى سرور وعجلة :**

ـ استرح اذن ·· ·· ولتسـترح الست هانم ·· دقائق وتأتى عربة ·· التساهيل على الله ·

لم تمض دقائق واشتدت الرياح ايذانا ببدء عاصفة ·· بكاء الطفل المتقطع يهز وجدان الأب ·· وليس فى مقدوره الا أن ينقل بصره بين الطفل العصبى ·· وأمه المشرفة على البكاء ·· ثم يعود ليتابع الصبى نافذ الصبر متقلص الأسارير ·· الصبى دائب الحركة يجرى هنا وهناك ·· يوقف هذه العربة ·· ويتفادى تلك ·· ويحدث ذلك السائق ·· **ويسأل الزوج نفسه :**

ـ لم يجرى هذا الصبى هكذا ؟! .. لم يعرض حياته للخطر .. لقد لعب أكثر من اللازم .. لا ريب أن هذه اللعبه تجلب الى قلبه السعادة .. أو تكون شقاوة صبية .

الصبى ما زال يعمل فى نشاط ولا تفتر عزيمته .. والطفل يبكى فى اصرار وأيضا لا تفتر عزيمته .. كل منهما .. يتصرف تبعا لاحساسه..والزوج يشتد قلقه..والزوجة تنكمش على طفلها تحميه من الصقيع .. من بين كل هذه الصراعات جاء الصبى مطمئنا :

ـ لا تقلق يا بك .. لعل الله أن يسهل بعربة شاغرة .

رأى الزوج قطرات العرق تتصبب من جبين الصبى رغم شدة البرد .. وما زال الأمل يلوح فى عينيه رغم ملامح اليأس التى تسربت الى وجهه .. قالت الزوجة بين انتفاضاتها :

ـ لتنقده أجره .. لقد تعب كثيرا .. فما ذنبه ؟

نظر الزوج فى ساعته موافقا ثم أضاف :

ـ بلى .. كما أن موعد القطار التالى قد اقترب .

انكمشت أسارير الصبى حين رأى الزوج يضع أصابعه فى جيبه الصغير .. واندفع صائحا :

ـ لا يا سعادة البك .. مستحيل ـ كلها دقائق وتأتى عربة باذن الله .

سكت الطفل لعله كان ينصت لحديث الصبى .. أو أنه تأثر بجلال الموقف .. أخرج الزوج أصابعه من جيبه .. التوى الصبى وجرى متقافزا وعيناه على الطريق الأسود .. عندئذ قالت الزوجة فى تأثر شديد :

ـ لا خير من الانتظار قليلا ٠

عاد الزوج يتبع الصبى ٠٠ لقد نشط أكثر من ذى قبل ٠٠ يجرى من هذه الناحية الى تلك ٠٠ ينأى بنفسه عن هذا الخطر وذاك ٠٠ **حينئذ قال الرجل فى نفسه مؤكدا :**

ـ ان هذا الصبى لا يلعب ٠٠ انه بلا شك يعمل ٠

وفى هذه اللحظة فكر جديا أن ينقد الصبى أجره قبل أن ينسحب من الميدان ٠٠ وحين رفع وجهه وهم بأن ينادى عليه ٠٠ سمع صوت احتكاك عجلات وارتطام تردد صداه فى قلبه ٠٠ هرول الناس من كل فج ٠٠ توجه الأب مسرعا صوب الزحام ٠٠ تتبعه زوجته المذهولة ٠٠ وكان الطفل قد سكت عن البكاء ! ٠٠ شق الزوج طريقه بين الجمع ٠٠ ارتعد حين رأى الصبى منطرحا على ظهره ٠٠ الدماء تتدفق من أنفه وفمه ٠٠

فلتت من فمه تلك الكلمات :

ـ مستحيل ٠٠ أأنت ؟! ٠٠ مستحيل ٠

هز الصبى رأسه بصعوبة ٠٠ حاول أن ينتزع ابتسامة انفرجت لها شفتاه قليلا ٠٠ بعد جهد استطاع **أن يخرج كلماته من زاوية فمه :**

ـ معذرة يا بك ٠٠ لقد صدمتنى أول عربة شاغرة ٠

ثم نظر الصبى من حوله ٠٠ استقرت عيناه على زميل له ٠٠ وجه اليه كلمات ممطوطة :

ـ لو تذهب لأمى وتخبرها بأنى سأعود فى الصباح ٠٠ أرجو ألا تخبرها باصابتى ٠

زحفت الفجيعة الى قلب الزوج ·· طفرت الدموع من عينيه ·· ولم يتوان أن يخرج من جيبه ورقة مالية كبيرة ·· ربما كانت كل ما يملكه ·· أعطاها لزميل الصبى ذلك الذى تأمله فى تساؤل ·· لم يستطع الأب النطق ·· اكتفى بالاشارة ناحية الصبى المنكوب ·· هز الزميل رأسه دليل الفهم ·· عاد الزوج أدراجه بين الناس الذين أفسحوا له الطريق ·· يرمقونه بنظرات الفضول والامتنان ·· وقف أمام زوجته التى كان تئن حزنا وكمدا ·· وطفله الذى سكت ·· لعله فضل مواصلة بكاءه فى صمت ·· وزحفت الأسرة الصغيرة ·· أتى الى أسماعهم صوت عربة الاسعاف مجلجلا ·· ابتعدت الأسرة مواصلين طريقهم ناحية المحطة ·· يشملهم الصمت والكآبة ·· ولا يشعرون بالأمطار المنهمرة ·